من التنافر والغرابة والمخالفة لكل منها فلا مشاحة (والمخالفة) أن تكون الكلمة على
خلاف القانون المستنبط من تتبع لغة العرب أعني مفردات ألفاظهم الموضوعة
أو ما هو في حكمها كوجوب الإعلال في نحو قام والإدغام في نحو مد وغير ذلك مما يشتمل عليه
علم التصريف وأما نحو أبى يأبى وعور يعور واستحوذ وقطط شعره وآل وماء وما أشبه
ذلك من الشواذ الثابتة في اللغة فليست من المخالفة في شيء لأنها كذلك ثبتت
عن الواضع فهي في حكم المستثناة فكأنه قال القياس كذا وكذا إلا في هذه الصور
بل المخالفة ما لا يكون على وفق ما ثبت عن الواضع (نحو الأجلل) بفك الإدغام في قوله
(الحمد لله العلي الأجلل) والقياس الأجل (قيل) فصاحة المفرد خلوصه مما ذكر (ومن الكراهة
في السمع) بأن يمج السمع ويتبرأ من سماعه كما يتبرأ من سماع الأصوات المنكرة فإن اللفظ من
قبيل الأصوات والأصوات منها ما تستلذ النفس بسماعه ومنها ما تستكرهه (نحو الجرشى)
في قول أبي الطيب في مدح سيف الدولة أبي الحسن علي (مبارك الاسم أغر اللقب
كريم الجرشى) أي النفس (شريف النسب) فالاسم مبارك لموافقته اسم أمير المؤمنين
علي رضي الله عنه واللقب هو سيف الدولة مشهور بين الناس والأغر من الخيل الأبيض الجبهة ثم استعير
لكل واضح معروف (وفيه نظر) لأنها داخلة تحت الغرابة المفسرة بالوحشية لظهور
أن الجرشى من قبيل كأكأتم وافرنقعوا واطلخم وقد ذكر هنا وجوه
الأول أنها إن أدت إلى الثقل فقد دخلت تحت التنافر وإلا فلا تخل بالفصاحة
الثاني أن ما ذكره هذا القائل مبني على أن اللفظ من قبيل الأصوات فاسد لأن
اللفظ ليس بصوت بل كيفية له كما عرف في موضعه وضعف هذين الوجهين ظاهر
الثالث أن الكراهة في السمع راجعة إلى النغم فكم من لفظ فصيح يستكره في السمع
إذا أدي بنغم غير متناسبة وصوت منكر وكم من لفظ غير فصيح يستلذ إذا أدي
بنغم متناسبة وصوت طيب وليس مبنى القطع باستكراه الجرشى دون النفس سوى

ادى

أدي بصوت حسن وغيره وكذا جحيش وطع دون فدوكس وعلم (والرابع) أن مثل
ذلك واقع في التنزيل كلفظ ضيزى ودسر ونحو ذلك وفيه بحث لأنه قد يعرض
لأسباب الإخلال بالفصاحة ما يمنع البتة فيصير اللفظ فصيحا فإن مفردات الألفاظ
تتفاوت باختلاف المقامات كما سيجيء في الخاتمة ولفظ ضيزى ودسر
كذلك (والفصاحة في الكلام خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات
والتعقيد مع فصاحتها) حال من الضمير في خلوصه أي خلوصه مما ذكر مع فصاحة كلماته
واحترز به عن نحو زيد أجلل وشعره مستشزر وأنفه مسرج ولا يجوز أن يكون حالا من
الكلمات في تنافر الكلمات لأنه يستلزم أن يكون الكلام المشتمل على الكلمات
الغير الفصيحة متنافرة كانت أم لا فصيحا لأنه صادق عليه أنه خالص من تنافر الكلمات
حال كونها فصيحة فافهم (فالضعف) أن يكون تأليف أجزاء الكلام على خلاف القانون
النحوي المشتهر فيما بين معظم أصحابه حتى يمتنع عند الجمهور كالإضمار قبل الذكر لفظا ومعنى
(نحو ضرب غلامه زيدا) فإنه غير فصيح وإن كان مثل هذه الصورة أعني اتصال
الفاعل بضمير المفعول به مما أجازه الأخفش وتبعه ابن جني لشدة اقتضاء الفعل المفعول
كالفاعل واستشهد بقوله * جزى ربه عني عدي بن حاتم * جزاء الكلاب العاويات
وقد فعل * وقوله * لما عصى أصحابه مصعبا * أدى إليه الكيل صاعا بصاع * ورد بأن
الضمير للمصدر المدلول عليه بالفعل أي رب الجزاء وأصحاب العصيان كقوله تعالى
اعدلوا هو أقرب للتقوى أي العدل وأما قوله * جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر *
وحسن فعل كما يجزى سنمار * وقوله * ألا ليت شعري هل يلومن قومه * زهيرا
على ما جر من كل جانب * فشاذ لا يقاس عليه (والتنافر) أن تكون الكلمات ثقيلة
على اللسان منه ما هو متناه في الثقل (كقوله * وليس قرب قبر حرب) اسم رجل (قبر *)
صدره * وقبر حرب بمكان قفر * أي خال عن الماء والكلأ ومنه ما دون ذلك (مثل قوله)

خبر مبتدأ محذوف تقديره هو قفر

وقبر حرب خبر مبتدأ هذا قبر حرب بمكان صفة قبر